هذا الجوع الثقافي

للاستاذ زهاد الزهراوي

وهذه مشكلة اجتماعية تعانيها دول العرب عامة ولا يتناولها بالبحث والدرس والعلاج ، فالفقر الثقافي واضح الأثر في لمجتمع كله، ناسه ولا نعيره الاهتمام ، ونحس نقائصه ولا نلتفت الى مدارستها والعناية بامرها .

ولن نجد صعوبة في تقرّي هذا الداء ؛ فالطلاب في مدارسهم خاضعون لتوجيه الاساتيذ واكثرهؤلاء محدود التفكير محدود الانتاج ، اما التوجيه الثقافي وتحبيب المطالعة الى النفوس وتقريبها من القلوب والعقول فشيء لا يحسنه كثرة اساتيذنا الكرام ولا يرتاحون اليه ، والشباب في الجامعات لم يخلصوا بعد من هذا الفقر ، فهم قد تلقوا الاثر الاول في نشأتهم وطبعوا على الكفاية بما يلقى وعلى بذل اقل الجهد ، فكانت اكثر المعاهد امتحانية صرفة ، وكان ان اكتفى الشباب في جامعاتنا الشرقية بكراساتهم المأخوذة عن الاساتيذ ، وما اكثر مايجدون الفتية عنها بخلاصات مركزة ، او خلاصات لهذه الخلاصات .

واصبحنا الآن ومؤهلاتنا الفكرية مصابة بنوع من الفتور والركود ، لاتقوى على تقبل الغذاء الفكري الدسم ولاتستطيع تمثل الانتاج القوي الطيب ، وكان من هذا ان اصيبت صحافتنا الادبية والعلمية بنوع من الكساد ، وعمت الثقافة التجارية الرخيصة ، واحجم المؤلفون والمنتجون في حقلي الأدب والعلم وهم قلة عن نشر جهودهم ، وفي هذه التضحية صفقة خاسرة ، وفشل اكيد .

ان العقل الانساني لايستطيع ان يبدع وينتج الا اذا اخذ نصيبه من الغذاء الفكري ؛ وهذه المعلومات المختلفة التي نقتبسها من الكتب والصحف والمحاضرات تتفاعل في ملكاتنا الذهنية وتختمر ثم تتركز ، فيكون من ذلك خصب وابداع ووفرة انتاج

والداء على ما ارى ، متوطن في براج التعليم من جهة وفي حسن انتقاء المعلمين من جهة ثانية ، وفي الوسط الذي يعيش فيه الانسان من جهات كثيرة ، واستقصاء مواطن الضعف في هذه العناصر الثلاثة يحتاج الى وقت وتفصيل لاتتسع له كلمات عابرة ، ولكن يحسن ان اعود فاشير الى ان براج التعليم عندنا تبنى على الدراسات النفسية في انتقائها ، ثم تغايرها في تناول العلم وتطبيق اساليبه ، وان الناشيء يتلقى دروسه مرغما ، على انها ضريبة الطفولة ، فينشأ على كره الدرس محدود الفكر ، ضعيف البنية والاستعداد الذهني

ويحسن ان اشير ايضاً الى ان المعلمين في حاجة الى دربة وكفاية ، وان الاستاذ لايحسن طبع طلابه بصفات متميزة تظهر شخصياتهم وتحفزهم الى البحث والعمل ، ولايستطيع خلق الميل فيهم الى المطالعة الا اذا كان هو قوي الشخصية بارع الحديث واسع الاطلاع ملما باحوال النفوس .. وهذه صفات لم تتمكن ممن تخرجهم معامل دور المعلمين الكثيرة في البلاد العربية .

اما الوسط الذي نعيش فيه فهو اشد مواطن الداء خطرا في هذا الفقر الثقافي ، فنحن نشكو الجهل في مختلف بيئاتنا في الاسرة والاسرة عماد التربية وصقل النفوس ، وفي الحياة الحاملة التي نحياها عند الفراغ وكلها تزجية للوقت وقطع للملل وفي الاجتماعات الكثيرة على غير طائل .. ومن ثم في صحافتنا التي تعمل في كثرتها للتجارة اكثر مما تعمل لرسالتها وفكرتها فهي لا تحاول في هذا السبيل ان ترسم ضمن منهاجها دراسة المجتمع والعمل على الانسجام مع الاستعداد الفكري في مختلف طبقاته لتنهض فيها بالتدريج .

واذا كان هذا هو الداء ، فحري بنا ان نعمد الى علاجه باجتنابه حين يمكن الاجتناب ، واخذ النفوس الناشئة بغير الطرق التي تنشأ عليها ..

واذا كانت معاهد العلم تأخذ على عاتقها قسما من المسؤلية لصلتها بالناشئة في مستهل حياتهم فان الصحافة ـ في حقلي العلم والادب ـ تتحمل القسم الكبير من هذه المسؤلية لاتصالها بالانسان في كل حياته . ولست انا ممن يجحد فضل المجلات المختصة بالشؤون العلمية والادبية الرفيعة والتي تقدم